استعادة وطن
دلالة المكان في قصيدة المنفى

د. صالح زامل
كلية التربية- الجامعة المستنصرية

المستخلص

يلامس عنوان هذا البحث رغبة الامتلاك للمكان الذي عيّناه في العنوان(بالوطن)، والرغبة هنا تقترن بالفقدان لأن المطلوب يستعاد، غير أن هذه الاستعادة لا تكون على صُعد فيزيقية لأنها متعذرة(لحظة كتابة النصوص) إلى حد ما– على الأقل بالنسبة للشاعر - أو أن ثمة اختلال ما بين الأنا والآخر يجعل هذه الصلات منقطعة عن أن تكون في كينونة طبيعية، فيستعاض عنها بذاكرة مسترجعة، تستعاد فيها رموز معينة كالإشارة لأمكنة من الوطن أو تضمين لمفردات من المحكية أو عوالم وطقوس وثقافة تنتمي إليه.

إن ما يستعاد من منجم الذاكرة تدفع لوجهته طبيعة الخطاب المحمولة على لغة منقطعة عن الأمكنة الجديدة أو يضيق استعمالها في التبادل– إذا استعرنا سمة البضاعة– فتصبح كاسدة وتكاد أن تفقد قيمتها مثل كل الأشياء أو أنها تستبدل بأخرى، مثل الحقيبة، والملابس، فيبقى من هذه الأشياء المركونة ما يُفضل إدامة الصلة معه، كصور تستعاد مشوشة لملامح الأهل والأصدقاء التي تصبح مع الأيام غائمة ولا يُستشف منها ما راكمته عليها حركة الزمن من تجاعيد وتعب، لأن الزمن سيقف عند وجهة واحدة(الماضي) بتلافيفه لحظة الانقطاع عن تلك الأمكنة وحسب، واللغة أحد الأشياء المعرضة للفقدان، بيد أنها إذا استمرت في كونها لغة تفكير وإبداع فإن هيمنتها والاعتداد بها سيكون جزءا من الهوية، ويكون تشيؤها خارجيا مع الانقطاع عن المكان الفيزيقي الذي يمثله المنفى وعندما يستمر التعين بالآخرية، فإن" الإنسان لا يحتاج فقط إلى مساحة فيزيقية جغرافية يعيش فيها، ولكنه يصبو إلى

رقعة يضرب فيها بجذوره وتتأصل فيها هويته، ومن ثم يأخذ البحث عن الكيان والهوية شكل الفعل على المكان لتحويله إلى مرآة ترى فيها الأنا صورتها"[١].

هذه المساحة– إذا كانت المنفى- فقد كان يُتوقع بأنها تعين على تشكيل هوية قادرة على أن تجد لها صلات مع الآخر، فلما تعيا عن ذلك، يكون ارتدادها إلى امتدادها، لأن" ما نطلق عليه الهوية أو الشخصية هو لفظ تجريدي(لهوية أولية) أو اللا تغير، تنطلق منها كافة التحولات التي تطرأ على الفرد فيما بعد، حيث يتطور دون ما يصيب تكوينه الداخلي أو مركز استمراريته أي تغير"[٢].

إن الهوية تتشكل عبر صيرورة كل فرد أو جماعة، ولا يمكن تجاوزها بذات الرغبة في التحول عن الأمكنة الفيزيقية حتى لو شئنا ذلك، إن الانقطاع عن الوجود الفعلي في الوطن يجعل الهوية وجودا مستفزا يكمن ويظهر كاستعادة لمنظومة ثقافية ولكن بانتقاء.

Abstract

(return a home \ place indication in poem of expatriate)

The Researcher Dr. Salih Zamil \ AL-Mustansiriyah University – College of Arts – Dept.of Arabic Language

Title of this research in touch with desire of possess of place that we determined it in title (in the home) , the desire here unify with loss because the required may be return , but this returning back may not be with physiological methods for its rarely (at time of writing the text) rather , at least as concern to the poet , perhaps there is defect between me & others make these relations sporadic to be in natural being , so they are be replaced by retrospection memory , the home

---

[١] مجموعة باحثين: جماليات المكان، عيون المقالات، باندونغ– الدار البيضاء ط٢ ١٩٨٨ ص٦٣.

[٢] ماري تيريز عبد المسيح: قراءة الأدب عبر الثقافات، الهيئة العامة لقصور الثقافة- مصر ١٩٩٧ ص١٦٢.

وانظر: تومبكنز(محرر): نقد استجابة القارئ، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم، المجلس الأعلى للثقافة، مصر ١٩٩٩. ص٢١٨.

means place would be returned that texts search its space , and roar over it through references in the text , firstly identity , speech is specified in one of its links with others , it revokes present two places , one of them we call it (here) , and (there) this space with its conflict pushes to link with one of two places , it is the first home , certain symbols are returned as indicate to places of home or implication to words of that are told or worlds & rites or culture are within them , as method of love that are taken from old Arabian courtesy , it is phenomenon of preventing or non- reaching and virginity .

This research takes care for place in expatriate poetry , and take sample of study from poetry group to poet Ibrahim Abdulmalik , he is one of Iraqi poets who are residents abroad , here our title be exhausted , whereas study intends to read place not by we authorized them in studies of Basilar or its challenges but we back to theories of Yuri Littman , that enlarged to view the place .

عينة الدراسة

لكي نكون بعيدا عن التشتت نرصد الظاهرة السابقة في مجموعة(قليل من الدفء.. للشاعر إبراهيم عبد الملك) وهو شاعر مقيم في السويد منذ عقود، والمجموعة كُتبت نصوصها في المنفى، وهي ليست آخر ما كتبه، وهو زمن كافٍ إلى حد ما للإحاطة بكل ما حوله فضلا عن المواطنة التي صار بها على أنه سويدي في إقامة ثانية، وهي تمنح تخفيفا لحدة التوتر والاكتشاف التي يواجه بها المهاجر في أول قدم يطأ بها منفاه.

الأمكنة بين الـ(هنا) والـ(هناك)

تعطي أية جماعة كانت بعدا له دلالة نفسية للحيّز الذي تشغله، ويكون نطاقه محصورا بمن ينضوي في كيانها بتشابك من العلائق كالعائلة والقرابة والملكية، فيكون إطارًا تشير إليه بالـ(هنا) وتدفع إلى خارجه من تشير إليهم بالـ(هناك) " وتختلف القيمة التي يضفيها الفرد على الحيز الذي يعيش فيه من مجتمع إلى آخر، ولكن الظاهرة التي تجمع بين البشر جميعا هي أن الفرد يدافع عن حيزه وكثيرا ما يمنع الآخرين عن الولوج إليه، وقد قارن عالم الاجتماع(أ. ت. هل) هذا الحيز بالفقاعة التي يعيش الفرد بداخلها ويحملها معه أينما ذهب"[٣].

على أن الـ(هنا) والـ(هناك) قد تصبح نسبية في الإشارة لما تؤطره وهو ما يمكن أن نلحظه مع التخلخل الذي أصاب جملة علاقات التعين المألوفة بمحصلة الانفتاح الكوني، فقد يتعلق الإنسان في كونين من العلاقات المختلفة، أي أن يوجد فعليا في مكان ويرحل وهو فيه بصورة أخرى لآخر، فيحتم هذا انقلابا في الإطار الذي تشير إليه الـ(هنا) والـ(هناك)، فالوطن والأقربون الذين كانوا بدلالة هنا صاروا هناك، وما كان يشار له بـ(هناك) صار هنا، وهو في البدء تفرضه طبيعة الإشارة للمكان، وثانيا تخرج الإشارة من دلالتها المباشرة التي وضعناها لها إلى مكان منقطع وهو ما سنوضحه في هذه القراءة، إذ الـ(هناك) سيقترن بما لا تستطيع الوصول إليه فيزيقيا، ويصبح رغبة غير متحققة يمكن أن توسم بالاستحالة ويحلق إليها في حين الـ(هنا) يكون أرضيا ملامسا وذابلا ولا يفارق كونه محطة للتحليق إلى هناك" إن هذه الثنائية، الطرد والجذب التي تتحقق للمنفى والوطن متماهيتان لكن من وجهتين مختلفتين، فالمنفى تجيء إليه جاذبا من الحلم(الرغبة به قبل أن يتحقق) ويكون طاردا عندما تختل العلائق اليومية به ويعيّنك على أنك آخر، لكنه جاذب عندما يستعاد من الذاكرة"[٤].

إن الـ(هناك) (المتعلق به) لا يحضر ببعده التاريخي والحضاري(في المجموعة) الذي يتبع ما يسمى بالتصادم الحضاري، إذ من الوطن يمكن تعيين

---

[٣] مجموعة مؤلفين: جماليات المكان ص٦٠.

[٤] صالح زامل: ثنائيات الوطن، جريدة الزمان٢٠-٤-٢٠٠١.

الآخرين وتكون المواجهة معهم بمنظومة ثقافية وحضارية تجد امتدادها في التاريخ في مقابل الحضارة الراهنة للغرب، في حين الوجود في الغرب(منفى) يشذّب هذا التصادم من الوجهة السابقة ويهذّبه إلى تصادم آخر يشكل الهوية ببعدها الشخصي والاجتماعي الذي تودّ الاحتفاظ بخصوصيته وحسب، فالعلاقات الاجتماعية في الغرب متوائمة مع بنيتها التحتية، وليس بمعنى أنها عادلة أو صحيحة ولكنها نتاج لها عبر سيطرة هذه البنية إذ تُفرض على أنها حتمية. أما المغترب فيبحث عن البنية الفوقية فيستدعيها من هناك لتكون(الفقاعة) التي يؤطر بها حضوره في الـ(هنا) (المنفى)، وهذا اللا توافق بين البنية التحتية التي يقف عليها وما يستدعيه لها من بنية فوقية أخرى تكون امتدادا لهويته تحقق له القلق والاغتراب، إذ" أن الإنسان يعيش في تذبذب جدلي بين الرغبة في الانتشار والانطلاق من قوقعة إلى أخرى في حركة طرد إلى الخارج وبين الرغبة في الانكماش والتقوقع في حركة جذب نحو الداخل "[٥]. وهذا التناوح بين رغبتين هو الذي يعطي دفقا للحركة، فضلا عن التضاد بين العجز عن أن يكون المتعين بالآخرية فاعلا في التغيير لما حوله وبين ما يأخذه منه وما يفرضه عليه لأن الأمكنة تفرض على الآخرين شبكة علاقاتها وأنماط سلوكها، ومن البديهي أن تعين كل ما يطرأ عليها من الخارج بأنه آخر وإن صار جزءا من نسيجها لارتباط ذلك بوعي الهوية الذي يفترض وجود الآخر[٦].

في مجموعة(قليل من الدفء ..) يتعين المكان المستعاد على انه عالم محلق إليه ويشار إليه بالـ(هناك) مباشرة، ولا يغادر كونه لا يدرك بالوصول إليه إلا على متن التهويم الذي يخترق حاجزا يعزل بين مكان الانطلاق(هنا) و(هناك)، وهو حاجز يتبدى بصورة غمامية فيماثل إلى حد ما الأعراف أو المطهر بين الجنة والنار أو البرزخ بين بحرين، والـ(هناك) لما كان فوقيا فإن علوه يعطيه جملة سمات إذ" أن العلو يوازي الاتساع، والانخفاض يوازي الضيق، وان العلوّ يتطابق أيضا مع الروحانية، أما الانخفاض فيتطابق مع المادية "[٧].

---

[٥] مجموعة مؤلفين: جماليات المكان، ص ٦٠.

[٦] ماري تيريز عبد المسيح: قراءة الأدب ص١٥٤.

[٧] مجموعة مؤلفين: جماليات المكان ص ٧٠.

إن وجود الـ(هناك) في العلو فلأنه محمول على سمو قيمي– أخلاقي موافق لمنظومة الشاعر الثقافية والاجتماعية التي يستعين بها على تعيين الهوية وتمايزها، فتكون الحركة إلى العلوي مدفوعة غالبا بالرغبة للخروج من أسر الأرضي، وسنختار نماذج من نصوص المجموعة ومن مواضع متفرقة فيها تحيل إلى الدلالة السابقة وتماثلاتها ليؤكد انهماك النصوص بها واستدعاءه لها:

١.(إلى أين يذهب سرب الإوز؟

وسنة كل الحقول– هنا- تلجها

وهناك الحريق

.....

جناحاك

هل يستطيعان أن يحملاك) قصيدة قليل من الدفء

٢.(نسجت جناحين

رفرفت طرت مع الحلم

لا يقظة لا وسن) قصيدة هوى

٣.(دموع الله تهطل هل تواسيه) قصيدة في شرفة مقهى

٤.(بعيدا تشبه الذكرى

تشبه الأقمار في ماضي لياليه) قصيدة في شرفة مقهى

٥.(بلغتك

حيث أفاقت بدور بليلي

وعاف الشتاء الزمن) قصيدة هوى

٦.(كل ما فينا يريد تسلق الجدران للأعلى ولكن

لا مفر من السقوط إلى بدايتنا الكئيبة) قصيدة رحل القطار

٧.(لم أجد بعد عينيك ساقيتين

لكي تحملاني بعيدا) قصيدة بعد السماء

إن المستوى التركيبي لجمل النماذج السبعة يحيل إلى التقسيم الذي ميزنا به الـ(هنا) والـ(هناك)، إن الاستفهام المكاني لسرب الإوز الذاهب- وإن ذهابه لا يكون

بغير التحليق- لا يعنى بالوجهة كثيرا بقدر ما يعني أن الحركة لا تعدو التهويم وأنها مستحيلة، وهو الدلالة البعيدة، أما القريبة فيجلوها انقطاع الحركة بمحدد هو الثلج حيث يغيب الدليل على اختلاف الأمكنة، فلا يتعين هنا المقصود وهذا التغيب سنة مألوفة للـ(هنا) الذي لم يكتفِ بالإشارة وإنما استعان بمعترضتين وظيفتهما الترقيمية التمهل والانقطاع عما قبلهما، ليقود ما بعده إلى استفهام استنكاري لا يقف على معرفة الإيجاب أو السلب بقدر ما يكشف أن اختلاق الجناحين عاجز عن أن يحمل جسدا بهذه الصورة المادية، والاختلاق من عندنا، لأن الخطاب كان (جناحاك)على أنه حقيقة وأنه ممتلك أو على الأقل أن الشاعر يمتلكهما، فيكفّ التحليق عن أن يكون ماديا، ليؤكد حالة التحليق التي تكون في عالم تهويمي يرحل من عالم النوم أو الأحلام أو الذاكرة إلى عالم نهاري لا يُلامس ماديا، فيكون النزوع للطيران مستغرقا للنماذج(٢، ٦، ٧) بدلالة التماثلات(الجناح، الرفرفة، التسلق، الحمل) وقد يكون التحليق بصورة أخرى على أنه منطقة تعلّق وتأمل بالعالم العلوي يخفّف من حلكة الليل ووحدته وقد يكون مواسيا له وهو ما يشغل النماذج(٣، ٤، ٥).

إن الـ(هناك) بما هو علوي، فالمفترض أن يكون- وهو عالم الروحانية- غائميا أو ليليا، لكن تتعين دلالته في النماذج بأنه عالم نهاري ولعل لذلك صلة باقتران الطيران عند أغلب الكائنات بالنهار، هذا إلى جانب أن التحليق المطلوب أن تطل على الأرضي أكثر من رغبة الاتصال به، بمعنى أن تقف على عالم نهاري في منطقة برزخيّة بين العالمين، لأن الـ(هناك) على الرغم من أنه مستعاد إلا إنه امتداد للـ(هنا) من وجهة أخرى فلا يمكنه أن يكون المثال الغائب أو المنتظر المطلوب، ولكن تنتزع منه بانتقاء قيمة تحدد أنت انتماءك إليها، إذ لا يخلو الـ(هناك) من الألم والمرارات-(قصيدة لم أطق عذرا /مثال لمفارقة وجهة النصوص بعامتها)- وهو يقارب مفهوم الاستعادة الذي جعلناه عنوان الدراسة، إذ المستعاد لا يفارق الذاكرة التي تحوم في حركتها من عالم النوم المشابه للموت وهو عالم ليلي، وفي هذا العالم أو منه تكون الحركة إلى النهاري أو النور،(وهناك الحريق) قصيدة قليل من الدفء.

بالضد من الـ(هناك) يمثل الـ(هنا) العالم الأرضي وهو عالم ليلي بتماثلات دلالية هي(الصبر، الانغلاق، الحزن، الوحدة، الصمت، ملامح الشيء، الحيرة) وهو ما تحيل إليه النماذج التي نختارها:

١. (أغاظك أن النهار قصير هنا) قصيدة قليل من الدفء
٢. (ولي هنا صبر سواه
يدور بي
قبل انقضاء الليل) قصيدة وقت آخر
٣. (لنهرب
سواء وصلنا إلى غابة أو ضللنا الطريق
لنهرب
فليس لنا أن نظل هنا) قصيدة أن نظل
٤. في عيون تحن إلى سفر دائم
والمدى مطلق
.....
وهو يبحث عن مرفأين) قصيدة أن نظل
٥.(أيقظ البرد فيك انحناء خفيفا
وشيئا من الحزن
يجري على وجنتيك
ملامح ذكرى) قصيدة قليل من الدفء
٦. (والليلك الوحشي ينثر ليله
عبثا يحاول أن يمازحه لينتظر النهار) قصيدة رحل القطار
٧. (أعود مع الصمت في كل ليل) قصيدة هوى
٨. (وكل ما حولنا يمشي
أ نحن الواعيان وحولنا يمشي النيام) قصيدة أن نظل
٩. (في غرفة موبوءة بالوحدة الصماء
يجلس بانتظار الشمس) قصيدة في الليل

إن الأرضـــي- قيميـا- يمثـل المــادي والوجـود فيــه يسـتفز الرحيـل ورغبــة السفر(أنظر النماذج١، ٢، ٣، ٤، ٥) وهو سوداوي وغائم مكلل بليل أخف عتمته أن يبدو رماديا ويمكن ملاحظة ذلك في قصيدة أحداث السبت الماضي:

(تعبت من التأمل

في خفايا ذلك اللون الرمادي

المهيمن خارج الشباك)

إن عتمة الـ(هنا) تحيل إلى انغلاقه ومجهوليته وضيقه على الرغم من امتداد الليل إلا أنك لا تقبض من أرجائه غير عزلة ووحدة تنتظر قادما(أنظر النماذج ٥، ٦، ٧، ٨، ٩)، فيكـون بعـد ذلـك قيميـا محتقـر يـوحي بالتفاهـة والملـل ونمثـل لهـذه المباشرة بمقطع من القصيدة السابقة(أحداث السبت الماضي):

(ليلا

شاهدت فلما تافها ومللته

فغفوت أحلم بالفراشة عند بابي)

إن التنـاوح بـين المكانين(هنـا وهنـاك) كـان باعثـا علـى إنتـاج الـدلالات السـابقة يجمعها المقطع التالي من قصيدة عشتار ...

(وكل ما أرى يرجع بي إليك

وما الذي يبقى إذا سجنت في سباتي

ولم أعد أملك حلما غير ذكرياتي:

-دجلة في الغروب

-حقل من العنبر

-حقل يعشق الهديل وابتسامة الجوري

-حكاية تروى عن الدفء، عن النهار)

وقد يتلاشـى المكان وينقطـع عن الزمـان(ولكني وحيد فـي زمـان لا مكـان لـه) فيكـون الزمان معادلا للموت الذي هو(هنا).

اللغة المحكية

تتسرب الخصوصية المحلية في واحدة من صورها في اللغة، وهي الانتقاء لمفردات بعينها من العامية لتدخل إلى النص، لكنها غير محمولة على بعد تحطيم اللغة المبنينة وانفتاحها على اللغة اليومية، وهو ما مارسته الكتابة الجديدة في التسعينات والآن، والمجموعة التي نحن بصددها ظلت محافظة غير منتمية لهذه التقاليد الجديدة، ولعل هذا الالتجاء للمفردة العامية محرّكه أنه قد يتكلمها يوميا لكنه لا يكتفي بذلك بل يؤكدها على أنها فعل من خلال ممارسة الكتابة، ليؤكد في الوقت نفسه فعل الاستعادة، وهذه المصالحة تحقق شيئا من التوازن الروحي لمواجهة الانقطاع عن الأمكنة السابقة، وهو ما يؤكده المغترب إذا تحدث عن تجربته في المنفى إذ يقول" حيث أكون أنا، يفكر المبعد، تنتصر الكلمة الحرة، هنا حيث يكون هو، تكون اللغة العربية– العراقية، حيث هو، تكون الثقافة العراقية"[٨].

إن الانتماء للغة العربية والعامية العراقية منها تحديدا، يتشظى عما هو عربي إلى أحد مشكّلات الهوية، فهل تعادل اللغة- الوطن بهذا العود إلى المنظومة الثقافية العراقية، إن اللغة– كما ذكرنا أول هذه القراءة– واحدة من الأشياء القليلة التي ترافق المهاجر وقد تكون" الشيء الوحيد الذي يأخذه وهي الوطن الباقي"[٩].

لكننا نجد فضلا عن الألفاظ العامية(شمس العصاري، عجوزة، حلوتي، أشخبط، العنبر، الشبّوي، الريل، كاروك) هناك العود إلى لغة قديمة تعود إلى أحد اللغات الجاهلية، وهي دخول أل على الفعل(المضت، الضاقت) وهي تأتي في سياقٍ الانحراف عنه يوظف لإثارة الانتباه، وهو ما يؤديه وجود الألفاظ العامية في السياق الشعري المكتوب بلغة فصحى، فضلا عن الاعتداد بالانتماء لتفريع على أنه أصالة للهوية.

---

[٨] نجم والي: عن المنفى والمكان السعيد، مجلة أبواب عدد/٣٠ سنة٢٠٠١- دار الساقي- لندن/ بيروت ص٢٨٣.

[٩] المصدر السابق، ص٢٨٠.

اللا نول

تحاول الكتابة أحيانا أن تكون فعلا استعاضيا عن التجربة الفعلية أو هي تقاربه إلى حد ما، وهنا عندما تعز التجربة فعليا في صورتها الشرقية– نقصد تجربة الحب التي تعالجها المجموعة– في أمكنة مغايرة لا تشبه الشرق في تقاليده وإرثه الاجتماعي، فإن الاستعادة تكون على مستويين الأول اللا تحقق الفعلي والآخر المتخيل أي أنه يفتقد التحقق مرتين، والأول يستعاد مرة باعتبار المكان(هناك) وأخرى باعتبار(الأجواء الشرقية)، أما التجربة فإنها تكون بعد ذلك ممارسة على الورق وتدفع على أنها معاناة لأن ماهية الحب" لا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة "[١٠]، وهي الصورة التي تكرسها، وهي حب صعب المنال، ويكون التلذذ به باعتبار اللا نول، وهو ما يجعلها مستفزة ومستمرة بذات الحرارة من الرغبة للوصول إلى شيء لا يوجد في الـ(هنا) وهو خيط الدفء الذي أرادته المجموعة بين نصوصها، إذ لو كان النول بسيطا مثل علاقات الآخرين المحيطين فإنها مهما اشتعلت فلا بد أن تخبو على رماد، أما هو فاشتعاله أزلي مادام يطلب ما يشبه المحال، وهو شيء يستعاد بالتجربة التي فصلناها، واللا نول هو صورة الحب الشرقية السامية، التي تكون المرأة فيها على تمنع وتدلل غير مبتذلة ولا تمنح بسهولة حتى ليستعذب مع حبها الألم إذ اللذة تكون فيه على أكبر أحوالها إذا جاءت بعد(نظر، ومطاولة، وتعريض، وإشارة، ومراسلة، وسفارة، وطاعة، ومخالفة، وعذل، ومساعدة، ورقيب، وواشٍ، ووصل، وهجر، ووفاء، وعذر، وفراق، وقنوع، وضنى، وسلو، وموت، وتعفف) هذا هو الطوق لصورة الحب المثالي الذي كان أبوابا لكتاب ابن حزم(طوق الحمامة) ورأى أن علاقة الحب لا بد أن تتوشح به، هذا الإرث يستعاد على أنه الـ(هناك) المنتقى.

إن الأمثلة التي تشير إلى اللا نول، هي محصلة الإحساس بالفقدان ليس للحب وحسب ولكن الفقدان المادي للـ(هناك) عندما غادرته فلم تكن حكيما وليس في حقيبة الروح غير الاسترجاع، وهو ما سميناه الاستعادة معينها ذاكرة وقفت عند الماضي، واليك النماذج:

---

[١٠] ابن حزم: طوق الحمامة، دار المعارف- مصر ط٣ ١٩٨٠ ص٨.

_(أيدهشك الآن أن الرضا قد مضى متعبا؟

أنت لم تقترف غير حبك أثما

ولم تعترف بهزيمة قلبك

لكنّ للحب طقسا– سوى ما عرفت-

له ما تبقى

فلا تسأل النهر: "ماذا أخذت وماذا تركت لنا في الشباك؟) قصيدة قليل من الدفء

- (لا قصد في أن يدق فؤادي طبول ارتجافته واهما إنه يولد

لا قصد أن تميل سماؤك متعبة ، نحو أرضي

رغم اقتناعك

أو رغم علمي

إن الكواكب لا تتزاور ....) قصيدة بعد السماء عن الأرض

- (ماذا دهى قلبي فيعجب هكذا

وهو الذي وقفت محبته

على باب بلا قلب

"أ تجهل أن أبواب المدينة أغلقت

بوجوه كل العاشقين

لقد مضى زمن اللقاءات التي تأتي بلا قصد

ليورق بعدها زهر البنفسج عند جرف النهر ..."

مهلك

أنت وحدك من يبالغ في المحبة هكذا

لا بد مما لست تفهمه ، ستتكرك الدروب وأهلها

فارحل

ولا تترك على الحيطان أسئلة تشوهها

ولا تعجب كثيرا أيها الغرّ العجيب) قصيدة زمان لا مكان له

العذرية:

في حين تنحو قصيدتا(هوى، ولقاء شتائي) نحوا عذريا واضحا في ترسمها لصورة الحب، ونأخذ قصيدة(هوى) نموذجا نقابله بالعلاقات العذرية التي جعلتها النصوص العذرية القديمة ظاهرة:

- الكتمان:

وبي ما أكتم

لا أشتكيه

ويكفي - احتمالا له- أن سكن

- الأرق والوجد:

وذبت من الوجد.. ذقت السهاد

عرفت الهوى والنوى والشجن

- الطيران مثل العصفور:

نسجت جناحين

رفرفت طرت مع الحلم

لا يقظة لا وسن

- النجوى:

بلغتك

حيث أفاقت بدور بليلي

وعاف الشتاء الزمن

- الصد:

وجدتك

فاستقبلتني الحياة

ولم تفهمي.. فحياتي لمن؟

- الوحدة:
أعود مع الصمت في كل ليل
وكم صرخ الصمت بي، كم لعن

- تواشج الأرواح:
وكم باتت الروح تهفو إليك
ويحبسها عنك سجن البدن

- اللا نول:
أحبك لا أملا في هواك
ولكن وجودي بذا مرتهن

الخلاصة

لقد حاولنا الإحاطة من خلال مسارب هذه الدراسة لظاهرة الاستعادة بالوجهة التي حددناها، وهي ظاهرة تغلب على عموم النص الذي يكتب في المنفى إلى حد ما، وقد وقفنا عند التعالق مع المكان ليس بمفهومه عند باشلار، بل كما نظّر له يوري لوتمان، وهو يعطي فضاء أوسع، وتكاد هذه الدراسة أن تمسك به إلى حد بعيد، المكان كما يحلق(هنا- وهناك) أو يسترجع باستراتيجية الغياب- الحضور باستعادة الثقافة الأولى.

المصادر

- إبراهيم عبد الملك: قليل من الدفء، دار المدى- دمشق.
- تومبكنز(محرر): نقد استجابة القارئ، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم، المجلس الأعلى للثقافة- مصر ١٩٩٩

- ابن حزم: طوق الحمامة، دار المعارف- مصر ط٣ ١٩٨٠.
- صالح زامل: ثنائيات الوطن، جريدة الزمان٢٠-٤-٢٠٠١.
- ماري تيريز عبد المسيح: قراءة الأدب عبر الثقافات، الهيئة العامة لقصور الثقافة- مصر ١٩٩٧
- مجموعة باحثين: جماليات المكان، عيون المقالات، باندونغ– الدار البيضاء ط٢ ١٩٨٨
- نجم والي: عن المنفى والمكان السعيد، مجلة أبواب، دار الساقي- لندن/ بيروت عدد/٣٠ سنة٢٠٠١